وكنيسة رومية بخصوص الايقونات ومتى كان ذلك واين رأيت ان مجمعاً عُتد في هذا الشأن سنة ٧٥٤ في القسطنطينيَّة (١. وغاية ما نعلم وما يعلمهُ حتى احداث مدارسنا انَّ المجمع الذي عُقد بخصوص الايقونات انَّما عُقد بامر البابا ادريان الاوَّل على عهد ايريني الملكة سنة ٧٨٧ ولم يكن فيهِ خلاف البتَّة بين كنائس الشرق وكنيسة رومية. بل اتَّفقت الكنائس كلّها شرقاً وغرباً في صحَّة اكام الايقونات. وهذا المجمع هو السابع من المجامع المسكونيَّة التي صادق عليها الباباوات والثاني من المجامع التي عُقدت في نيقية. فان كان لدى المقتطف تاريخ آخر اكتشفهُ فليتكرَّم علينا بهِ لنطَّلع على ما لم تَروِهِ تواريخنا الكنسيَّة بل جميع التواريخ المدنية

ولنا في بقيَّة مقالة الكاتب ملاحظات أُخرى لاسيَّما في ما كتبهُ عن سلطة البابا الزمنيَّة الَّا ان ذلك يؤدي بنا الى اطالة الكلام ويستدعي شروحاً ليست من هذا المقام. وفي ما سبق كفاية ليرى القرَّاء بايّ خفَّة يخوض المقتطف في المسائل الدينيَّة التي لا يعرف منها الَّا قشرتها فعساهُ ان ينتبه الى اوهامهِ بعد ان قرعنا لهُ العصا ولا يعود الى مثلها دفعة أُخرى. هدانا الله واياهُ الى كلّ صواب

يمين العلي

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الثاني عشر

بارقة امل (تابع)

فتوجَّه سلوانس من ساعتهِ الى المعسكر قريباً من منزل الاسرى حيث كانوا يزدحمون كالغنم في الزريبة ثم اختلط ببعض الجند في حانوت هناك كانوا اجتمعوا فيهِ لمعاقرة الخمرة فسلَّم عليهم وسكب لهم قدحاً من خمر لبنان كان اتى بها معهُ لسفرهِ فرحَّبوا بهِ وجاذبوهُ اطراف الحديث

(١) ما لم يُشر الكاتب الى مجمع غير قانونيّ جمعهُ الملك قسطنطين الزبليّ لمحاربة الصور ورذلتهُ الكنيستان معاً

وكان سلوانس يمدح ثباتهم وظفرهم بالعدو وفتحهم لبيت المقدس فاسترسلوا معهُ بالكلام واخبروهُ بتفاصيل الوقائع. وممَّا استفاد منهم انَّ بعض الاسرى يُعرَضون في غدٍ للوحوش في ميدان قيساريَّة لكنَّ اكثرهم شيوخ لا يستطيعون ان يمشوا مع العسكر امَّا العدد الاوفر من الاسرى فانَّ طيطس يصونهم للعب بيروت حيث تجري ألعاب حافلة واعياد غاية في البهاء.

فلمَّا سمع سلوانس هذا الكلام شعر بقلبهِ انهُ كاد ينفطر وأنَّهُ لمن المحتمل ان يكون سيّده الشيخ في جملة هؤلاء العجزة الذين يُلقَون في غدٍ للضواري. لكنَّهُ تجلَّد امام القوم ولم يبدِ من شواعرهِ شيئًا. ثمَّ ملأ الاقداح ثانيةً من خمرهِ اللبنانيَّة التي استطابها الجند. وبينما كانوا يرشفون الكؤوس تفرَّد بضابطٍ كان بينهم يعرف اليونانيَّة دون رفقتهِ فاستخبرهُ عن وطنهِ واهلهِ حتى أنس بهِ فسألهُ في آخر الامر: وهل تعرف الاسرى الذين يُقتَلون في غدٍ

قال: لا اعرفهم. ألا انَّ واحدًا منهم يُدعى صموئيل اصلهُ من بيروت كان وعدني بمبلغ عظيم من المال اذا شئتُ ان اخلّصهُ من الموت. لكنَّني لم أُقدم على الامر فاعرّض بنفسي للتهلكة اذا ما أُعلم طيطس بذلك لاسيَّما ان هذا الشيخ مسنٌّ لا يمكنهُ الهرب وهو في حالة...

قال هذا ثم تلعثم في كلامهِ وسكت وكانت الخمرة اللبنانيَّة لعبت في رأسهِ ورؤوس اصحابهِ فتثاقلت اجفانهم وما لبثوا ان غابوا عن الرشد

فقام سلوانس وخرج من الحانوت شاكرًا لله على أنَّهُ علم بمكان صموئيل وبقائهِ في قيد الحياة طالبًا اليهِ تعالى ان يرشدهُ الى الطريقة المثلى لخلاص سيّده

وكان سلوانس لم يشك انهُ وجد ضالَّتهُ فانسلَّ من ساعتهِ من بين الجنود السكارى وعاد مسرعًا الى النزل الذي احتلَّهُ واخذ كيسًا من الدراهم وحمَّلهُ العبدين اللذين ابتاعهما وامرهما بان يتبعاهُ ليساعداهُ على فكّ اغلال سيّدهِ

ثم تطايروا ركضًا الى ملعب المدينة وطلب سلوانس ان يواجه رئيس الحرس. وكان هذا رجلًا مسنًّا قصيرًا اقنى الانف شثن الاصابع يطرف بعينيهِ دوبًا وتلوح في وجههِ ملامح الطمع. فخاف سلوانس ان تفوتهُ الفرصة اذا اطال الحديث ومن ثمَّ عرض عليهِ بديهًا ان يبيعهُ احد العبيد الذين تحت نظارتهِ ممَّن أُعدُّوا للوحوش في غدٍ

فما سمع الحارس هذا الكلام حتى اقشعرَّ بدنهُ وارتجف كانهُ صُفِع بصفعةٍ على أُمّ رأسهِ. فاخذ يتبرَّم ويدافع ويحاول ويعتذر بما ينتظرهُ من العقاب لو نقص واحد من الاسرى الذين تحت امرهِ. الّا انَّ سلوانس ادرك مرام الحارس فقال لهُ دون تلبُّثٍ:

قل لي صريحاً كم تطلب بدلًا من اسيرك ؟

فعاد الحارث ثانيةً الى رجفتهِ واخذ ينظر حواليهِ ليرى أيكون احد سمع كلام سلوانس فيسعى بهِ لدى القوَّاد. واجاب بصوتٍ ضعيف انهُ لا يرضى برشوةٍ

فتظاهر سلوانس بانهُ يريد الخروج وادبر قائلًا: فان لم تشأ فالامر اليك

الّا ان شيطان المال وسوس الى قلب الحارس فهرول الى سلوانس وامسكهُ بطرف ثوبهِ قائلًا: « قف لعلَّهُ يمكننا ان نتفق ». فعرف سلوانس انَّ الحارس في قبضتهِ فقال: « دَعني اخرج فاني لا اريد ان تُخاطر بنفسك وتعرّض بحياتك الى التهلكة »

فقال الحارس: « نعم الّا اني حبًّا بك لا اضنُّ عليك بسلامتي. وكم تريد تنفق من المال في خلاص الاسير »

قال سلوانس: لك الحكم في اسيرك

قال الحارس: اطلب عشرة آلاف درهم

— هذا كثير ولكن هي لك فائتني باسيري

فلمَّا رأى الحارس تسارُع سلوانس في الدفع ندم على اكتفائهِ بالقليل واراد ان يزيد في ثمن سلعتهِ. لكنَّ سلوانس افحمهُ بقولهِ انهُ لا يعطي فلساً زائداً شاء الحارس أم أبى. فرضي الحارس وتصافقا على البيع

فاشعل الحارس فانوساً خفيف الضوْ ومشى امام سلوانس ليقودهُ الى الاسرى فيختار الذي يريدهُ. فبعد ان قطعا سرباً مظلماً وصلا الى باب من حديدٍ على جانبيهِ جنديان بالسيوف المشهرة. فلمَّا رأيا رئيسهما لم يفوها ببنت شفة وفتحا لهُ الباب بعد انحنائهما امامهُ

فصر الباب ودار على رِزازهِ ثم دخل الحارس وسلوانس الى دهليزٍ متّسع كان ينبعث منهُ رائحة كريهة وهو وطيْ السقف قليل النور والهواء. وكان هناك نحوٌ من خمسين اسيرًا يقضون فيهِ ليلتهم الاخيرة قبل وداع الحياة ومنهم من يبكي ومنهم من يتنهَّد الصعداء. واكثرهم حيارى سكارى ممَّا ذاقوهُ من ضروب الاوجاع لم يكد ذكر

الموت يعمل فيهم بل يعدُّونهُ كنهاية عذابهم

فقال الحارس: هوذا الاسرى فعليك بمرغوبك. وكان سلوانس لظلمة المحلّ لا يكاد يميّز احدًا فاخذ ينتقل من اسير الى آخر فيقرّب الفانوس الى وجهِ كلّ منهم ليتعرّف سيّدهُ وكان منظر هؤلاء الشيوخ العَجَزَة تتقطّر لهُ القلوب وكلُّهم في حالةٍ من ضعف القوى واصفرار اللون وغوْور العيون وتقلُّص الجلد يرقّ لها الجلمود. فكاد سلوانس يغشى عليهِ عند رؤية هؤلاء المنكودي الحظّ. الّا انهُ تجلّد رغبةً في وجود ضالّتهِ

فدار والحارس في السجن يفحص الاسرى واحدًا واحدًا فحصًا مدقّقًا وهو ينتظر بفروغ الصبر رؤية سيدهِ بينما كان الحارس يزاحمهُ ويستطيل فحصهُ. وكاد سلوانس ينتهي من فحص الجميع وهو لم يشاهد مطلوبهُ. فساءهُ ذلك جدًّا والتفت الحارس قائلًا: « او ليس بين اسراك رجل يُدعى صموئيل »

— لعلَّهُ يوجد لكني لا اعلم باسماء كل ماشيتي

ثم صرخ الحارس: « من منكم يدعى صموئيل » واذا بصوت ضعيف سُمع من بعض زوايا الدهليز « انا اسمي صموئيل ماذا تريد مني »

فوثب سلوانس اليهِ وقلبهُ يجب فرحًا. فرأى على قليل من الحشيش شيخًا انتصب مذعورًا على فراشهِ لمَّا سمع باسمهِ. فحدج اليهِ سلوانس بالنظر ليتحقّقهُ فلم يعرفهُ فسألهُ عن اسمهِ فقال: « صموئيل من باروت » وباروت هذه قريةٌ من قرى فلسطين فكان اسمها اشتبه على الجنديّ فظنَّها بيروت الفينيقية

فعرف سلوانس انهُ خُدع بالاسم وانَّ صموئيل هذا ليس بسيّدهِ فبقي واجمًا كانَّ السماء اصعقتهُ فهدَّت قواهُ. الّا ان الحارس انتهرهُ واضطرَّهُ الى ان يخرج مسرعًا. فخرج وقلبهُ مكسور لانَّ آخر بارقةٍ من الامل كانت توارت عنهُ فيئس من وجود سيّده

ثم ألقى ببعض دريهمات للحارس الذي كاد يتميّز غيظًا لمَّا رأى انهُ خسر المبلغ الموعود وحاول ان يستقضي من سلوانس أجرة اوفر لكنَّ هذا نظر اليهِ شزرًا واراهُ مديةً كان يواريها تحت ثيابهِ. فخاف الحارس على نفسهِ وتركهُ يرحل في سبيلهِ

ولمَّا خرج سلوانس من ذاك المكان انتعشت قواهُ باستنشاق الهواء وسار في طرق المدينة بينما كان البدر التمام يرسل باشعَّتهِ الفضيَّة على بيوتها. فمرَّ عند ساحة الملعب فرأى فئة من العبيد يهيئون عددًا من الصلبان ليُصلب عليها اسرى اليهود في غد ذاك النهار

فأثّر فيهِ هذا المنظر وفكّر في الآلام التي سيقاسيها اولئك البائسون على هذه آلات العذاب. فمال بنظرهِ عن هذا المرأى الفجيع. واتصل بعبديهِ اللذين كانا في انتظارهِ عند رواق المدينة خارجاً

ولمّا رأى انّ آمالهُ قد خابت في وجدان سيّدهِ رأى انّ الاجدر بهِ ان يعود الى بيروت فينتظر قدوم بقيّة الاسرى وكان قد تحقّق انّ هؤلاء لا يُعرَضون ثانيةً في طريقهم للوحوش الّا في ملعب بيروت. فان كان سيّدهُ حيًّا فلا بُدَّ ان يلقاهُ هناك. واماً اذا كان ميتًا... ولكن كيف يخبر سيّدتهُ بموتهِ افلا تكون هذه الضربة لازبةً فتقتل الابنة وتلحقها بابيها ؟...

الفصل الثالث عشر

سكَرات الموت

من لنا ان نصف ما لحق بيهوديت المدعوة الآن باسم مريم من الحزن والكآبة اذ عاد اليها وكيلها الامين سلوانس من قيسارية صفر اليدين لم يعثر لابيها وعلّة وجودها على اثرٍ. فانّ سفر وكيلها كان آخر حبلٍ اعتصمت بهِ آمالها فرأتهُ منتقضاً فشعرت مذ ذاك كأنّها وقعت في لجّةٍ من الاكدار والآلام وغاصت فيها بلا خلاص ولا مناص

نعم ان الايمان الجديد الذي كانت لاذت بهِ كان يلطّف نوعاً اوجاعها ويمنعها من اليأس والقنوط الّا انّ هذا الايمان نفسهُ كان من جانب آخر يزيد كأس احزانها مرارةً فيذيقها العلقم. وذلك انّها لمّا كانت تحبُّ والدهـا من صميم الفؤاد كانت تؤمل ان تراهُ قبل وفاتهِ لتجذبَهُ الى دينهـا وتبيّن لهُ انّ يسوع الناصريّ هو هو مسيح الله ومنتظر الامم الذي وُعد بهِ بنو اسرائيل منذ عهـد موسى والانبياء اماً الآن وقد تحقّق عندها موتهُ فكيف ترجو خلاصهُ بعد ان سمعتهُ مراراً يجدّف على هذا المخلّص في حياتهِ. أفيمكن ان يجمعها في الآخرة فردوس واحد بعـد ان اختلفا ايمانًا ! فهذا الفكر كان يفعم قلب ابنة صموئيل كدرًا ولا يدع لها راحةً البتّة. فكنت تراها تدور في انحاء دارها وهي كالمصابة بعقلها فتصرخ: « اوّاه مات ابي... هلك ! هلك... الى الابد ! »

وكان اذا ثاب اليها رشدها تحاول الصلاة لعلّها تلقى فيها تعزيةً وسلوانًا. الّا انّ نفسها كانت تأبى ان تتعزّى فتكرّر هذه الالفاظ المفجعة: .. هلك !... الى الابد !

وبينما كانت مغمورة في بحر اوجاعها ليس لها نصير ولا معين اذ خطر على بالها ذكر الاسقف الشيخ الذي نصَّرها ونجَّاها مما احاق بها من الشدائد والضيقات. ولمَّا لم تَقْوَ على الخروج اليهِ لضعفها وانحلال جسمها ارسلت الى حانوتهِ احد عبيدهـا يدعوهُ الى دارها

فقام الشيخ لساعتهِ واخذ هراوتهُ ليتوكَّأ عليهـا. وكان يصحبهُ فتًى صغير يقودهُ لانَّ نظرهُ كان قد ضعف وكلّ فلا يكاد يجد طريقهُ في ازقَّة بيروت الملتوية وشوارعها المتعدّدة لاسيَّما انَّ افكارهُ كانت كلّها متَّجهةً الى العلويَّات وقلبهُ يناجي بلا انقطاع خالقهُ الذي كان يؤمل مشاهدتهُ عمَّا قليل. فلمَّا تجاوز كوارتوس عتبة الدار سلَّم قائلًا:

ليحلّ سلام يسوع على هذه الدار وقاطنيها

قال هذا ووجَّه نظرهُ الى يهوديت فاراها محيَّاهُ الذي كان متنوّرًا بانوار السماء لا ينظر اليهِ احد دون ان يمتلئ قلبهُ مهابةً ووقارًا ثمَّ اردف:

ما لكِ تبكين يا ابنتي ؟ فاين ايمانكِ ؟ اتظنّين ان المسيح لا يقوم بوعدهِ الذي وعدكِ بهِ يوم احصاكِ في عداد خرافهِ ؟

ثم صار رجل الله يلاطف الفتـاة ويسكّن جأشها ويرفع بنظرها الى العلوّ حيث يجب ان تُلقي برساة رجائها وتجعل ثقتها. ثم ذكَّرها بسميَّتها البتول التي كانت واقفة عند صليب يسوع ثابتةً في وسط الاوجاع لم تهدّ ركنها آلام ابنها وفقد وحيدهـا فقاست من النكال ما لم يقاسهِ الشهداء وصبرت على نكالها الصبر الجميل حافظة في قلبها الرجاء الوطيد بقيامة ابنها

فكذلك مريم الجديدة ينبغي عليها ان تتجلَّد فتحتمل على مثال سلطانة الشهداء اوجاعها ريثما يأتيها الله بالفرج الموعود. وكيف تشكّ بخلاص والدها بعد المواعيد الالهيَّة التي ثبتت لديها يوم عمادها. أفليس احرى بها ان ترجو رغمًا عن كلّ خيبة رجاء.

فكان لهذا الكلام احسن وقع في قلب يهوديت فنزل عليهِ كطلّ الندى على العشب وبرَّد نفسها واثلج صدرهـا. ولمَّا قام الشيخ ليعود الى حانوتهِ احسَّت ابنة صمونيل بان دموعها قد نشفت وآبت اليها قوَّتهـا فودَّعتهُ وقبَّلت يدهُ شاكرةً وطلبت بركتهُ جاثيةً عند قدميهِ. فوضع كوارتوس يدهُ على رأسهـا طالبًا الى الله ان يبدّد غياهب حزنها ويقوّيها بروحهِ القدّوس لئلَّا تقوى عليها بلايا هذه الدنيا

*

كانت بيروت تنتظر بفروغ الصبر قدوم طيطس وجنودهِ المظفَّرة فمنذ بلغ اهلها ان مدينة اورشليم صارت في حوزة الرومان لم يلهج الجمهور الَّا بهذا الانتصار الباهر وهم يترصَّدون كلّ حركات الجيش القادم الى بيروت حيث أُعدَّت الحفلات البديعة لاستقبال ابن ڤسپسيان الظافر

فلمَّا كان اليوم العاشر من شهر تشرين الاوَّل خرج اهل بيروت زرافاتٍ ووحداناً للاقاة الظافرين فدخلوا المدينة بعد ساعة بابهَّة يندر لها مثيل. فكانت الموسيقى العسكريَّة تتقدَّم الجنود فيُسمع لآلات طربها اصوات تبعث الموتى من قبورها بينما كان الاهلون يحيُّون الجيش بتحيَّات ارتجَّت لها الارض ورددَّت اصداءها الجبال

امَّا العسكر المنتصر فكان ماشياً على نظام مهيب في صدرهِ الفرسان الرومانيُّون وفرقتهم التي ابلت البلاء الحسن فذهب منها نحو نصفها الزمهم اعداؤهم العفر. ثم كان يليهم فرسان افريقية وهم يُعرفون بسواد جلدهم ثم فرسان غالية واكثرهم من جبابرة الرجال ثم فرسان العرب وشيوخ الصحارى الممتدَّة بين الفرات ودمشق ثم قوَّاسو تدمر ذوو الشهرة في الرمي. وكانت تلوح على وجوه كلّ هؤلاء امائر الكدّ والنَّصب وكثيرون منهم قد أُصيبوا بجروحٍ بليغة تراهم معصَّبين بالضمادات واللفائف قُطع لهذا ساقهُ ولذاك ذراعهُ

امَّا الخيل المطهَّمة فكنت تراها كاشباحٍ كادت جلودها تلتصق بعظامها لما نالها من الجهد في الحرب. الَّا انَّها كانت تمشي على رنَّات الموسيقى كأنَّها تشعر بما ادَّتهُ من الخدم او تشاطر اصحابها مجدهم

وكنت ترى بعد الخيل فئات من المُشاة يسيرون ثُلاث ورُباع وفي رأس كل فرقة الراية التي تميِّزها. ولهذه الفِرَق اعداد تُعرف بها وكل فرقة تتركَّب من ٦٠٠ جنديّ الَّا انَّ بعض هذه الفرق لم يرجع منها الَّا نصفها او ربعها فسقط الباقون صرعى في حومة القتال. امَّا الباقون فكانوا على حالةٍ يُرثى لها قد ذاقوا من اهوال الحرب ما تشهد لهُ وجوههم الكالحة وجراحهم المتعدِّدة. وكان هذا يوم انتصارهم اعاد لهم قواهم فكانوا يمشون ورؤوسهم عالية وثغورهم باسمة. امَّا الفرقة العاشرة فكانت

بقيت في اورشليم لتتأثر اعقاب اليهود وتقتل من اختفى منهم في اسراب المدينة ومغاور الجبال لئلاَّ يعودوا الى الثورة

وفي آخر هذا الموكب الجليل كان طيطس وهو مكلَّل بالغار راكب على جوادهِ يسير بهيبة وجلال ويسلِّم على الجموع المزدحمة حولهُ وكلُّها تحيِّيهِ باصوات البهجة والظفر. وكان هذا القائد في مدَّة هذه الشهور الثمانية التي قضاها في اورشليم قاسى من الهموم والاتعاب ما لا يفي بوصفهِ قلم. فكان الذي يراهُ يظنُّهُ وهو بعدُ في عزّ شبابهِ انهُ جاوز الخمسين من عمرهِ. ولذلك كانت جلبة القوم لا تؤثر فيهِ كأنهُ لا يعدُّ انتصارهُ شيئًا بالنسبة الى ما لحق بالرومان من ضروب النكبات

امَّا وراء القائد الظافر فكنت ترى عددًا لا يُحصى من الاسرى المشدودين بالحبال يسيرون سيرًا رويدًا كأنهم الغنم يُقادون الى المجزرة وعلى جانبيهم صفَّان من الجند وبايديهم السيوف المسلولة والقسيّ الموتورة والسياط الممدودة لضرب المتأخرين. وكان الذي ينظر الى هؤلاء المنكودين وهم مكشوفو الرؤوس ارجلهم دامية بلا احذية يرسفون بقيودهم ويسترون عريهم بأخلاق من الثياب لا يتمالك من عواطف التحنُّن عليهم والرقَّة لهم لاسيَّما اذ كان يعرف ما ينتظرهم في ملعب بيروت من العذابات المرَّة

فأثَّر هذا النظر في الشعب المقبل للتحيَّة على الظافرين وكاد يلعن الحرب الاورشليميَّة. وبلغت الرحمة في قلوب بعض الحاضرين مبلغًا جعلهم يحسنون الى الاسرى فيأتونهم بالماء ليرووا غليلهم ويغسلوا دماء ارجلهم (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

L'HABITATION BYZANTINE
par le Général L. de Beylié
Paris, E. Leroux, 1902-3, *pp.* 217 — *Supplément*, *pp.* 39
المسكن البوزنطي للجنرال ل. دي بيلي

من شاء ان يعرف ما يتكلَّفهُ العلماء في سبيل الآثار الشرقيَّة فعليهِ بهذا الكتاب الذي يجمع بين غزارة المادَّة وسعة العلوم الهندسيَّة والفنيَّة مع نفاسة الطبع وحسن التصوير. وصاحبهُ احد القوَّاد الفرنسيين المشهورين خصَّص اوقات فراغهِ لدرس المنازل التي كان يبتنيها اهل القسطنطينيَّة مع وصفها وتعريف هندستها وخواصها وما كان